ملامح من البيان النبوي دراسة تأصيلية

Characteristics of the Prophet's Eloquence: Foundational Study

Kajian Dasar ciri-ciri Kefasihan Nabi

سعد الدين منصور محمد*

ملخص البحث

يركز هذا البحث في بيان أهم كتب البيان النبوي من حيث اللغة والشرع، مع إيضاح ما فيها من أسرار اللغة من البلاغة والبيان البديع، ومن ثم يهتم البحث بذكر معاني البيان وما يدل عليه، وأقسامه، وسرد بعض أساليب البلاغة النبوية، كالصوت الجهير، والحركة والإشارة، والتكرار، والإيجاز ، وغيرها، وويتجه البحث إلى بيان بعض نماذج من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ وبيان وجه البلاغة فيها، كسحر البيان ونحوه، ويتطرق كلام الباحث إلى بيان معنى الحديث وبلاغته مع ذكر بعض الأمثلة للأحاديث التي تدل على بلاغته ﷺ في الحديث والبيان.

الكلمات الرئيسية: البيان النبوي، معاني البيان، البلاغة النبوية، جوامع الكلم ، معنى الحديث وبلاغته.

Abstract

This paper explains the most important works on the eloquence of the Prophet Mohammad (s.a.w.), focusing on the linguistic, legislative, and esoteric aspects of his eloquence and his use of rhetoric. It discusses the meaning of eloquence and its elements, and provides examples of the types of rhetorical techniques used by the Prophet; for example – the timbre of the voice, signs and gestures, repetition, brevity, concise speech, and recitatives. In addition, the paper explains the meaning of the traditions of the Prophet, and provides examples that demonstrate the Prophet's eloquence in conversation.

Key words: The Prophet's Eloquence, Meanings of Eloquence, The Prophet's Rhetoric, Concise Speech, Meaning of Hadith and Its Eloquence.

Abstrak

Kajian ini tertumpu pada penjelasan karya Nabi Muhammad (SAW) dalam kefasihan beliau dalam linguistic dan perundangan. Selain itu, kajian ini

* أستاذ مشارك، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم دراسات القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا.

menjelaskan rahsia linguistik bagi karya-karya ini yang mengandungi kefasihan dan retorika beliau. Kajian ini juga menumpu kepada makna kefasihan dan divisyennya; ia juga menyebut beberapa jenis kefasihan dan retorik Nabi. Sebagai contoh, bes suara, tingkah laku, pengulangan, keringkasan, dan lain-lain. Kajian ini menjelaskan bebrapa contoh hujah ringkas Nabi dan aspek retoriknya. Kajian ini mendefinisikan tradisi Nabi dan kefashiannya dengan bebrapa contoh tradisi yang memaparkan kefasihan dalam perbualan dan pertuturan beliau.

Kata kunci: Kefasihan Nabi, Maksud kefasihan, retorika Nabi, Hujah ringkas, maksud hadis dan kefasihannya.

تمهيد

تهدف هذه الدراسة إلى بيان النواحي البلاغية في كلام النبي ﷺ؛ والتي تُعْنَى بتوضيح أوجه البيان وسلاسة الخطاب وجزالة الأسلوب الموصلة لسهولة إفهام المعنى الذي تمثل به الخطاب النبوي الشريف، لا سيما وقد أعطي ﷺ؛ جوامع الكلم[1]. وهذا تحليل واقعي في الخطاب النبوي من ناحية البيان فهو مستمد من الإعجاز البياني في القرآن الكريم الذي أُسند تبليغه وبيان أوجه إعجازه للنبي ﷺ، وذلك بغية تقديم مقارنة يستفاد منها في ترقية منهج دراسة البيان والأسلوب وهو بدوره يساعد في إفهام رسالة الإسلام وأسرارها. قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ (سورة الأنبياء 107). فضلا عن ذلك تلك الخصوصية التي خصه الله تعالى بها وهي في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ (سورة النجم 4-3)، لذا استمد الحديث الشريف فصاحته وبيانه وبلاغته من القرآن الكريم الذي هو أعجز العرب فصاحةً وبيانا قال ﷺ: «أوتيت القرآن ومثله معه».[2]

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا (بيروت: دار ابن كثير ، اليمامة، ط3، 1407– 1987) ج 6، ص 2573، رقم 6611. أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي»، قال أبو عبد الله: وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك.

[2] قال رسولُ اللَّهِ ﷺ «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه لا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروهم فإن لم يقروهم فلهم أن يعقبوهم بمثل قراهم» أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ ، 1999م)، ج 28 ص 410، رقم 17174.

إذا كان القرآن الكريم قمة البلاغة وذروة البيان، فإن مما لاشك فيه أن السنة النبوية "القولية، والفعلية والتقريرية" تأتي في المحل الثاني، ولا عجب في ذلك فمصدرهما واحد وكلاهما من الله عز وجل ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ (النجم:3-4).

أما فصاحته وبلاغته ﷺ فهي من السمت الذي لا يؤخذ فيه على حقه، ولا يتعلق بأسبابه متعلق، فإن العرب وإن هذبوا الكلام وحذقوه وبالغوا في إحكامه وتجويده، إلا أن ذلك قد كان منهم عن نظر متقدم، ورواية مقصودة، وكان عن تكلف يستعان له بأسباب الإجادة التي تسموا إليها الفطرة اللغوية فيهم، فيشبه أن يكون القول مصنوعاً مقدّرا على أنهم مع ذلك لم يسلمون من عيوب الاستكراه والزلل والاضطراب، بِيد أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا ينبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه.[3]

وكان كلامه ﷺ كما قال الجاحظ: " هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وغير ذلك. ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلا توفيقاً من الله جلّ شأنه وتوقيفاً".[4]

كان كلامه المعتاد، وفصاحته المعلومة، وجوامع كلمه وحكمه المأثورة، فقد ألف الناس فيها الدواوين، وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها مالا يوازى فصاحة، ولا يبارى بلاغة، كقوله: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم»[5] وقوله: «الناس كأسنان المشط، والمرء مع من أحب، ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له، والناس معادن، وما هلك امرؤ عرف

---

[3] الرافعي،مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ط.، 1425هـ - 2005م)، ج1، ص 194.

[4] المرجع نفسه، ج1، ص 195.

[5] محمد ضياء الرحمن الأعظمي، **المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى للبيهقي**، (الرياض: مكتبة الرشد، د. ط.، 1422هـ - 2001م)، باب ما لا يقتل مؤمن بكافر، ج7، ص 15، رقم 2969.

قدره، والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم، ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم، أو سكت فسلم».[6]

وقد سئلت عن أخلاقه ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت: "كان خلقه القرآن"[7] ثم تلت قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم:4). من هذا الفيض الرباني الزاخر اغترف ﷺ، فكان أفصح الخلق، يقول الحق عز وجل: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ (الأحزاب: 21).

و مع الإقرار بالفوارق البيانية من حيث الإعجاز الذي خص الله به تعالى القرآن الكريم، كيف لا وهو كلام الله المتره عن النقصان، جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني من توحيد الله تعالى وتتريه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته وبيان لطريق عبادته، و تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساويها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه، مودعاً أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم، منبئاً عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الآتية من الزمان، جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وأنبأ عن وجوب ما أمر به ونهى عنه، ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم؛ فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله.

---

[6] انظر: القضاعي،محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، **مسند الشهاب**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ- 1986م)، ج1، ص 145-146، رقم 195؛ والعلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (ت 544 هـ)، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (ت 873)، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط.، 1409 هـ - 1988 م)، ج1، ص 78.

[7] أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج41، ص 148، رقم 24601. قال شعيب الأرونوط: صحيح على شرط الشيخين.

والحق ما شهد به الأعداء فهذا هو الوليد بن المغيرة يشهر قوله في القرآن: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه[8]. فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب، وثمر العقول والألباب.

ترى لكل من رام الآدب، وابتغى الشرف، وطلب محاسن القول والفعل، مناراً مرفوعاً، وعلماً منصوباً، وهادياً مرشداً، ومعلماً مسدداً. وتجد فيه للنائي عن طلب المآثر، والزاهد في اكتساب المحامد، داعياً ومحرضاً، وباعثاً ومحضضاً، ومذكراً ومعرفاً، وواعظاً ومثقفاً.[9]

فإن كان القرآن الكريم هو قمة البلاغة وذروة البيان، فالسنة النبوي "القولية، الفعلية والتقريرية" هي البيان والتفصيل لكتاب الله عزوجل: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (النحل: 44)، وترجع بلاغة الرسول ﷺ، وبيانه، إلى عدة عوامل تضافرت مجتمعة من أجل بناء شخصيته البيانية المتفردة، فالبحث يتناول معنى البيان النبوي، مع الاستفادة من الدراسات المعاصرة له، واختيار نماذج ودراستها.

إن هذه الدراسة محاولة واقتراب فقط ولن تستطيع الحصر والشمول، ذلك أن الواصفين والكاتبين مهما كتبوا عن نص، فما يجيدون فيه غير نذر يسير، فالرسول ﷺ وإن كان بشراً سويا، يأكل الطعام، ويسير بين الناس في الأسواق ، وله ماله من البشر، وعليه ما عليهم، إلا أنه قد صيغ صياغة ربانية ذات خصوصية.

وهذه الدراسة تنظر إلى البيان النبوي من ناحية تطور الشكل، حيث تدرس اختيار الكلمة، وبناء الجمل ومناخات اختيار اللفظ من حيث الطقس النفسي وأعني به مراعاة مقتضى الحال وفي حال المخاطب والموضوع، وحكم الرسول ﷺ.

لقد صدرت دراسات وبحوث كثيرة في مجال الحديث النبوي الشريف ولكن معظم تلك الدراسات قد شملت جانب التشريع، وأما جانب اللغة فإن الدراسات موجودة أيضاً. أما دراسات المضمون فهي متناثرة في كتب الأخلاق والآداب ويندر أن توجد دراسة تجمع بين الجانب اللغوي والأخلاقي.

---

[8] السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، **الخصائص الكبرى** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ- 1985م)

[9] الجرجاني، عبدالقاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: د.محمد التنجي (بيروت: دار الكتاب العربي، 1995م) ج 1، ص 7.

أهم كتب البيان النبوي

لقد صدرت دراسات وبحوث كثيرة في مجال الحديث النبوي الشريف ولكن معظم تلك الدراسات قد شملت جانب التشريع وأما جانب اللغة فإن الدراسات موجودة أيضاً.

أما دراسات المضمون فهي متناثرة في كتب الأخلاق والآداب ويندر أن توجد دراسة تجمع بين الجانب اللغوي والأخلاقي.

والكتب التي عنيت بدراسة الحديث صنفت إلى ثلاثة كتب اهتمت بغريب الحديث، وثانياً: اهتمت بإعرابه، وثالثاً: اهتمت ببلاغته، ومن الذين كتبوا في غريبه النضر بن شميل (ت 203)، وأبو عبيدة بن معمر المثنى ت 209 وابن سلاّم ت 223 وممن كتب في إعراب الحديث الإمام العكبري[10]، والإمام ابن مالك الأندلسي[11] والمجازات النبوية لأبي الحسن الشريف الرضي.

ومنها أيضا "**المجازات النبوي**" للشريف الرضى، وقد سبق ذلك كتابين لهذا العالم الجليل هما كتاب **خصائص التنزيل ودقائق التأويل** ثم كتاب **تلخيص البيان** فجمع ستين وثلاثمائة حديث في كتابة المجازات النبوية، حيث قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "فإني عرفت ما شافهتني به من استحسانك الخبيئة التي أطلعتها، والدقيقة التي أثرتها من كتابي الموسوم بـ(**تلخيص البيان عن مجازات القرآن**) وإني سلكت من ذلك حجة لم تسلك، وطرقت بابا لم يطرق، وما فيه من سلوك مثل تلك الطريقة في عمل كتاب يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله ﷺ إذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ولمع البيان وأسرار اللغة اللطيفة.[12]

والباحث يتناول الكلام على أمثال هذه الكتب وبيان ما فيها من أسرار اللغة، والبيان البديع مع ذكر الأمثلة على ذلك وتوضيح ما فيها من روعة البيان والحكمة.

ومنها "**الفائق في غريب الحديث**" للزمخشري تحدث في مقدمته عن بلاغة العرب، وساق بعض الأمثلة منها التعبير الرمزي، قال في الحديث "لا تسموا العنب

---

[10] أبو البقاء العكبري ،**إعراب الحديث النبوي**، تحقيق عبد الله نبهان مطبوعات (مجمع اللغة العربية بدمشق)، ص1977.

[11] ابن مالك الأندلسي، **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**، ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، (القاهرة: عالم الكتب ط3، 1983م)

[12] **مقدمة المجازات النبوية**، ص 19.

الكرم، فإنما الكرم الرجل المسلم" أراد أن يقرر ويشدد ما في قوله عز وجل ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات: 13) بطريقة أنيقة ومسلك لطيف، فإن هذا النوع من غير المسمى بالاسم المشتق من الكرم أنتم أحقاء بالا تؤهلوه بهذه التسمية ولا تطلقوها عليه ولا تسلموها له، غيرة على المسلم التقي أن يشارك في ما سماه الله به.[13]

ومن كتب المعاصرين "**إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**" لمصطفى صادق الرافعي، أجاد فيه وأحسن اختتمه بفصل يجمل فيه ما يريد تفصيل، وفرق بين بلاغته ﷺ وبلاغة الفصحاء من العرب بأمور موجزها تكلفهم القول وصناعتهم فيه، وإرساله ﷺ الحديث فطرة وإلهامه وسلامته مع ذلك من كلّ عيب، وعدم سلامتهم من الاستكراه والزلل والاضطراب ومن حذف في مواقع الإطناب، وإطناب في مواضع الحذف، ومن كلمة غيرها أليق بمكانها، ومن معنى غيره أولى بالسياق به.[14]

ومنها كتاب "**مشاهد القيامة في الحديث النبوي**" لأحمد بن عبد الله العطى، حيث كتب فصلا عن دراسة في التصوير الفني في الحديث النبوي، وهو يتمثل في التشبيه والاستعارة والكناية وضرب لذلك أمثلة، وفي الفصل الثالث تناول بعض الظواهر الموجودة في الحديث النبوي الشريف كالمثل والقصة والموسيقى.[15]

وممن تناول جزءاً من بلاغة النبي ﷺ محمد جابر فياض العلواني في كتابه: "**الأمثال في الحديث النبوي الشريف**" حيث قسمه إلى قسمين كبيرين: اشتمل أولهما على دراسة نظرية وتطبيقية وافية حول كل ما يتصل بالمثل وتضمن القسم الثاني بذكر الأمثال الحديثية مع تخريجها.[16]

ومن المعاصرين عبد الفتاح لاشين له كتاب بعنوان "**من بلاغة الحديث الشريف**" حيث تناول فيه موضوع بلاغة الرسول ﷺ وتفرد الرسول ﷺ بعلم كل لغات القرآن وحكمته في مواجهة المخاطبين ثم حلل تسعة وعشرين حديثاً بين فيها بلاغة النبي ﷺ.

---

[13] الزمخشري، **الفائق**، ج2، ص 199.

[14] انظر: مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، المقدمة، ج1، ص 9-13.

[15] أحمد عبد الله العطى، **مشاهد القيامة في الحديث النبوي**، (بيروت: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط.، 1998م)، ص 17.

[16] كمال عز الدين، **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية**، (بيروت: دار إقرأ، 1984م)، ص 5-7.

ومنها كتاب "**أدب الحديث النبوي**" لبكري شيخ أمين، حيث تناول في الباب الثاني في كتابه عدة فصول هي فصل عن شخصية محمد ﷺ وأخلاقه وثقافته وفصحاته وموقفه من الشعر وتناول موضوع بين أسلوب القرآن والحديث، وحلل جملة من الأحاديث النبوية تحليلاً أدبيا.[17]

ومن كتاب "**دراسة أدبية لأحاديث نبوية مختارة**" لكامل سلامة الدقس حيث حاول دراسة أسلوب الحديث النبوي وخصائصه الفنية. لعله يدرك سموه البياني العالي. وقد وضح أنه اجتمعت لرسول الله ﷺ كل أسباب الفصاحة والبلاغة وتوفرت لديه كل دواعي اللسانه والاقتداء، وحسن البيان ووضح أن ناحية الامتياز الكبرى في كلامه ﷺ هي اجتماع الكلام بقلة ألفاظه مع اتساع معناه، وإحكام أسلوبه في غير تعقيد، واطراد ذلك في كل معنى، وفي كل باب شيء لم يعرف لأحد قبله.

وهذه من أخص خصائص نبوته ﷺ وآيات عبقريته أنه يقصد إلى الهدف ويهدي إلى الجادة في القول كما هدى إليها العمل. وقد ركز في كتابه على الناحية البلاغية، والروائع الأدبية. ومنها كتاب "**التصوير الفني في الحديث النبوي**" لمحمد لطفي الصناع.

و"**الخصائص الفنية في الأدب النبوي**" محمد الدبل فهي تبحث عن قضايا لغوية ونفسية وتربوية في الحديث النبوي الشريف لتكون إشارات للغويين يهتدون به لوضع معايير ضابطة للسلوك اللغوي ، كما تكون هادية للتربويين في كيفية استخدام اللغة في الفهم والإفهام، وكذلك فهي توضح كيف يكون المعني والمضمون .

والفرق بين ما يوجد في هذه الكتب وبين ما يتناوله الباحث هو: أن غالب هذه الكتب تتكلم في جانب واحد، فبعضها يتكلم حول بلاغة النبي ﷺ من حيث المجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والبيان البديع؛ وبعضها يتناول الحديث حول آداب المصطفى ﷺ في الكلام والحديث والخطاب، وأسلوب الحديث النبوي وخصائصه الفنية. والباحث يقوم بجمع هذه الطريقتين والمنهجين في هذا البحث، أعني الجمع بين بلاغة النبي ﷺ في الحديث، وآدابه في الخطاب وأسلوبه مع منهجه في ذلك.

---

[17] بكري شيخ أمين التوفر، **أدب الحديث النبوي**، (بيروت: *دار العلم* للملايين، ط7، 2005م)، ص 92– 121.

معاني البيان ومدلولاته:

البيان هو علم يتكون من الكناية والتعريض، والتشبيه والتمثيل، والمجاز، وما يتفرع منها من علوم بلاغية فاعلة في إيضاح مدلول البيان.[18] وعلى ذلك وردت فيه معانٍ عديدة معرِّفة به أبرزها:

أ. "المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير".[19]

قال المناوي: الكشف بمعنى البيان، وهو أعم من النطق، لأن النطق مختص باللسان ويسمى ما يبين به بيانا، والبيان ضربان أحدهما بالتسخير وهي الأشياء الدالة على حال من الأحوال من آثار صنعة.[20] والثاني بالاختبار وذلك إما أن يكون نطقاً أو كتابة أو إشارة فالبيان بالحال نحو قوله تعالى: ﴿**لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِيْنٌ**﴾ (البقرة: 186)، وبالاختبار نحو قوله تعالى: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلْنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ (النحل: 44). وسمي الكلام بياناً، لكشفه عن المعنى المقصود وإظهاره، نحو هذا بيان للناس، وسمي ما يشرح المجمل والمبهم من الكلام بياناً، نحو قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ (القيامة: 19). وفي شرح جمع الجوامع "البيان إخراج الشيء من حيز الإشكال إلى حيز التجلي"، وفي محصول الشروع، البيان: هو إظهار المعنى للنفس حتى يتبين من غيره، وينفصل عما يلتبس به، ومنه البينه، وهي الحجة الواضحة، وفي التعاريف، البيان: هو إظهار المتكلم المراد للسامع.[21]

تقسم المناوي للبيان، ومعاني البيان في القرآن الكريم[22]

وقد قسمه الإمام المناوي إلى أقسام وهي:

1. **بيان التقرير:** وهو توكيد الكلام بما يرفع احتمال المجاز والتخصيص نحو قوله تعالى: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾ (الحجر: 30). فقرر معنى العموم في

---

[18] الميداني،عبد الرحمن الميداني، **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، (د. ط.، د. ت.)، ج 1، ص 560.

[19] الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، الزمخشري جار الله، (المتوفى : 538هـ)، **الكشاف**، (مصدر الكتاب: موقع التفاسير)، ج6، ص461.

[20] انظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية (بيروت دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ط4، 1410) ج1، ص 148.

[21] المرجع نفسه، ج1، ص 148 – 149.

[22] المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ج 1، ص148- 149.

الملائكة بذكر الكل حتى صار لا يحتمل بيان التفسير ما فيه خفاء من المشترك أو المشكل أو المجمل أو الخفي، نحو قوله تعالى:﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ (البقرة: 43)، فإن الصلاة مجمل، فلحق البيان بالسنة والزكاة مجمل، في حق النصاب والقدر فلحق البيان بالسنة بيان التغيير وهو تغيير موجب الكلام نحو التعليق والاستثناء والتخصيص.

2. **بيان الضرورة:** هو نوع بيان يقع بغير ما وضع له لضرورة إذ الموضوع له النطق وهذا يقع بالسكوت.

3. **بيان التبديل:** وهو النسخ، أي نسخ حكم شرعي بدليل شرعي متأخر.

قال عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: علم البيان، هذا علم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية، لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده، ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني، وذلك أن الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه، هي إما تصور مفردات تسند ويسند إليهاويفضي بعضها إلى بغض.[23]

ويعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. وقال أيضاً: فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالة التي للهيئات والأحوال والمقامات، وجُعِل على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول يبحث فيه عن هذه الهيآت والأحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ويسمى علم البلاغة،

والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي الاستعارة والكناية كما قلناه ويسمى علم البيان. وألحقوا بهما صنفا آخر وهو **النظر في تزيين** الكلام وتحسينه بنوع من التنميق إما بسجع يفصله أو تجنيس، يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع.

وأطلق على الأصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان، وهو اسم الصنف الثاني، لأن الأقدمين أول ما تكلموا فيه، ثم تلاحقت مسائل الفن واحدة بعد أخرى، وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وأمثالهم إملاءات غير وافية فيها، ثم لم تزل

---

[23] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، **مقدمة العلامة ابن خلدون**، (بيروت: دار الفكر، د. ط. د. ت.)، ج1، ص 550.

مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً إلى أن مخض السكاكي زبدته وهذب مسائله ورتب أبوابه، على نحو ما ذكرناه آنفاً من الترتيب. [24]

فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً في ذلك، لأنهم فرسان الكلام وجهابذته، والذوق عندهم، موجود بأوفر ما يكون وأصحه. وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون، وأكثر تفاسير المتقدمين غفل منه، حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير، وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن، بما يبدي البعض من إعجازه، فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير، لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة. ولأجل هذا يتحاماه كثير من أهل السنة، مع وفور بضاعته من البلاغة. فمن أحكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة، حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه، أو يعلم أنها بدعة فيعرض عنها ولا تضره في معتقده، فإنه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب، للظفر بشيء من الإعجاز، مع السلامة من البدع والأهواء.[25]

كلمة البيان ومعانيها في بعض آيات القرآن الكريم

وإذا تتبعنا كلمة البيان وما تصرّف منها في القرآن الكريم ، نجد أن عدداً من الآيات الكريمة، تناولت هذه الكلمة بمعانى عديدة ، فلننظر لتلك من خلال أقوال المفسرين الكرام. فالرسول ﷺ مثال للكمال البشري الذي وصف القرآن الكريم كلامه بأنه (مبين) ولغة فإن عبارة مبين في صيغة لاسم الفاعل من الفعل الرباعي أبان، ومن الأصل الثلاثي بان، وبان تعني: وضح وظهر جاء في لسان العرب، وأما أبان فالهمزة فيها للتعدية، ويعني أنه قد فعل الإبانة. وكلام الرسول ﷺ وصف بأنه البلاغ المبين، كما في قوله تعالى:

1- **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾** (المائدة: 92) والشاهد في هذه الآية: **﴿الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾** يقول الطبري: فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه إليكم بالنِّذَارة غير إبلاغكم الرسالة التي

[24] **المرجع نفسه**، ج1، ص 551- 552.

[25] **المرجع نفسه**، ج1، ص 552- 553.

أرسل بها إليكم، مبينةً لكم بيانًا يُوضِّح لكم سبيل الحقّ، والطريقَ الذي أمرتم أن تسلكوه، وأما العقاب على التولية والانتقام بالمعصية، فعلى المُرْسَل إليه دون الرسل.[26] حيث المراد بالبيان النبوي هنا التوضيح التام.

2- وقوله تعالى: ﴿**وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ**﴾ (الحجر: 89).

وقوله: هنا كالعلَّةِ أي ما أنَا رسولٌ مبعوثٌ لإنذار المكلَّفين وزجرهِم عن الكفر والمعاصي سواءً كانُوا من الأعزَّاء أو الأذِلاَّء فكيف يتسنَّى لي طرد الفُقراء لاستتباع الأغنياءِ ، أو ما عليَّ إلاَّ إنذارُكم بالبرهان الواضحِ وقد فعلتُه وما عليَّ استرضاءُ بعضِكم بطردِ الآخرين،[27] والبيان هنا بمعنى البرهان والدليل الواضح القوي.

3- وقوله تعالى: ﴿**فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**﴾ (النحل:82).

4- "**فَإِنْ تَوَلَّوْا**" أعرضوا عن الإسلام " **فَإِنَّمَا عَلَيْكَ** " يا محمد "**الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**" الإبلاغ البين وهذا قبل الأمر بالقتال[28] وهنا بمعنى الوضوح.

5- ومنه قوله تعالى: ﴿**لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ (النحل: 103). أى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان ﴿**أَعْجَمِيٌّ**﴾ ،غير بين ﴿**وهذا**﴾، القرآن ﴿**لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾، ذو بيان وفصاحة ردّاً لقولهم وإبطالاً لطعنهم وقرىء : ﴿**يلحدون**﴾ بفتح الياء والحاء . وفي قراءة الحسن: «**اللسان الذي يلحدون إليه**» بتعريف اللسان.[29] أى أن القرآن بين واضح لاغموض فيه.

6- ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ (الحج: 49) وظاهر السياق يقتضي أن المراد بالناس المشركون، فإن الحديث مسوق لهم فكأنه قيل : قل يا أيها المشركون المستعجلون بالعذاب إنما أنا منذر لكم إنذاراً بينا بما أوحى إلي

---

[26] الطبري،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000 م)، ج10، ص 575.

[27] أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (المتوفى: 982هـ) (مصدر الكتاب: موقع التفاسير)، ج4، ص 154.

[28] جلال الدين محمد بن أحمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **تفسير الجلالين** ، (مصدر الكتاب: موقع الإسلام)، ج4، ص 490.

[29] الزمخشري، **الكشاف**، ج3، ص 401.

من أنباء الأمم المهلكة من غير أن يكون لي دخل في إتيان ما تستعجلون من العـــذاب الموعود حتى تستعجلوني به[30] والبيان بمعنى الوضوح الذى لا غموض فيه.

7- ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَـــى الرَّسُـــولِ إِلا الْـــبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ (النور: 54) التبليغ الموضح لما كلفتم به.[31]

8- ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ (الشعراء:115).

9- أي: إنما بعثت نذيرًا، فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وكنت منه ، سواء كان شريفًا أو وضيعًا، أو جليلا أو حقيرًا.[32]

10-وحاصله أنا مقصور على إنذار المكلفين لا أتعداه إلى طرد الأرذلين منـــهم أو ما علي إلا إنذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطـــرد الآخرين ، وحاصله أنا مقصور على إنذاركم لا أتعداه إلى استرضـــائكم.[33]حيـــث البيان هنا البرهان الواضح .

11-ومنه قوله تعالى: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ (الشعراء :195).

12-واضحِ المعنى ظاهرِ المدلولِ لئلاَّ يبقى لهم عذرٌ ما وهُو أيضاً متعلِّق بنزل به ، وتأخيره للاعتناءِ بأمر الإنذارِ وللإيماء إلى أنَّ مدارَ كونه من جُملة المنذرين المذكورينَ عليهم السَّلامُ مجرَّدُ إنزالِهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لا إنزالُه باللِّسان العربيِّ[34]

13- ومنه قوله تعالى: ﴿**أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَـــاءَهُمْ رَسُـــولٌ مُـــبِينٌ**﴾ (الدخان: 113). ﴿**أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى**﴾ نفي صدقهم في الوعد وأن غرضهم إنما هـــو

---

[30] شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (المتوفى : 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (مصدر الكتاب: موقع التفاسير)، ج13، ص 89.

[31] **البيضاوي**، ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي**، (مصدر الكتاب: موقع التفاسير)، ج4، ص 387.

[32] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م)، ج6، ص 151.

[33] الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج14، ص 289.

[34] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج5، ص 160.

كشف العذاب والخلاص أي كيف يتذكرون أو من أين يتذكرون ،بذلك ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم .

14-﴿**وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ**﴾، أي والحال أنهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو أعظم من ذلك في إيجابهما، حيث جاءهم رسول عظيم الشأن ظاهر أمر رسالته بالآيات والمعجزات التي تخر لها صم الجبال أو مظهر لهم مناهج الحق بذلك.[35] فالبيان هنا بمعنى الإظهار .

15- ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾ (الملك:26). ﴿**وَإِنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾ أي : مخوف ومُعلِمَ لكم[36] البيان هنا بمعنى النذير يعني المعلم، والنذارة الإعلام.

16-ومنه قوله جلّ جلاله ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ (نوح: 2) يقول تعالى مخبرا عن نوح، عليه السلام، أنه أرسله إلى قومه آمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم؛ ولهذا قال: ﴿**أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ أي: بين النذارة، ظاهر الأمر واضحه.[37] وكل رسول أرسل بلسان قوم فهو مبين بذلك اللسان، وسيدنا محمد ﷺ مبين باللغة العربية.

"وتقول السيدة عائشة عن صفة حديثه ﷺ: «ما كان ﷺ يسرد كسردكم هذا، ولكن يتكلم بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس إليه»[38] وعبارتا " بيّن فصل" هما صفتان لمبني وهيئة البيان النبوي. قال البغوي: "قولها: يسرد سردكم، أي: يتابعه، ومثله: فلانٌ يسرد الصيام سرداً ، أي: يواليه، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَدِّرْ فِي**

---

[35] الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج18، ص 439.

[36] أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، **تفسيراللباب في علوم الكتاب**، (المتوفى: 775هـ)، (مصدر الكتاب: موقع التفاسير)، ج15، ص 393.

[37] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص 231.

[38] أخرجه محمد بن عيسى، أبو عيسى الترمذي السلمي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط.، د. ت.)، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، ج5، ص 600، رقم 3639. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، لا نعرفه إلا من حديث الزهري، وقد رواه يونس بن يزيد عن الزهري. قال الشيخ الألباني: حسن.

السَّرْدِ﴾ (سبأ: 11)، وهو متابعة حلق الدرع شيئاً بعد شيءٍ حتى يتناسق، معنى التقدير في السرد، أي: لا تجعل المسامير دقاقاً، فتقلق، ولا غلاظاً فتفصم الحلق.[39] فهو كما يشير الحديث: إن أسرار تفرق البيان النبوي وتميزه عن سائر بلغاء العرب تكمن في ثلاثة عناصر وهي: التربية الربانية، وتأثره بالقرآن، والفطرة السليمة.[40]

فقد أعد الله سبحانه وتعالى رسوله ليكون رسولاً لأمة، قد تفوقت في الخطابة والمقال لتتم الغلبة والعلو عليهم. وأثر القرآن فيه ﷺ جلي واضح، فقد تأثر بمنهجه نسقه وترسم خطاه، وقد كان للبيئة دورا فعالاً في هذه النشأة اللغوية المتميزة إذ نشأ بين أفصح بطون العرب. إذ كان مولده في بني هاشم، وتربى وأرضع في بني سعد، وتزوج من بني أسد، ومسيره إلى الأوس والخزرج أهل المدينة المنورة ، فجمع لسانه ميزات كل سلك. ولقد قال ﷺ لمن سأله عن تفرد بيانه ﷺ فقال: «أنا أفصح العرب غير أني من قريش ونشأت في بني سعد».[41] وفوق هذا وذاك رعاية الله سبحانه وتعالى له.

يروى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي ﷺ، لقد طفت في العرب وسمعت فصحائهم، فما سمعت الذي هو أفصح منك، فمن أدبك؟ فقالﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».[42]

وفي حلاوة منطقه ﷺ وفصاحته وطريقة أدائه قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس إليه".[43] وفي حديث آخر قالت رضي الله تعالى عنها: «أن النبي ﷺ كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه. وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب أنه قال أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: ألا يعجبك أبو فلان جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول اللهِ ﷺ يسمعني ذلك وكنت أسبح فقام

---

[39] الحسين بن مسعود البغوي، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ – 1983م)، ج13، ص 256.

[40] إبراهيم عوض، **تأملات في البيان النبوي** ،(القاهرة: مطبعة السعادة، د. ط. د. ت.)، ص 19.

[41] القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ج1، ص 80.

[42] أورده الإمام السيوطي **في جمع الجوامع أو الجامع الكبير**، ج2، ص 88؛ وذكر أن ابن الجوزي أورده في كتابه العلل، ج1، ص 178، رقم 284، وقال: لا يصح، وفيه مجهولون وضعفاء، والحديث ذكره السخاوى فى المقاصد (ص 39، رقم 45) وضعفه، وكذا العجلونى (ص72، رقم 164). ولكن أبا الفضل بن ناصر صححه، والحديث مشهور عند علماء السير والمغازي.

[43] قد سبق تخريجه، انظر صفحة 10.

قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم».[44]

بعض أساليب البلاغة النبوية

ومن الأساليب البلاغية التي يمكن إيجازها في هذا المقام ما يلي:

1. الصوت الجهير[45]

أي الصوت العالي، لاسيما وأن زمانه ﷺ لم توجد أجهزة مكبرات الصوت الحديثة، وكان ﷺ صوته يرتفع يسمع البعيد من الحاضرين وكانت خطبته تختلف حسب الحالة بين اللين والشدة، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: « كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول «صبحكم ومساكم». ويقول «بعثت أنا والساعة كهاتين». ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة». ثم يقول «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلى».[46]

2. الحركة والإشارة

تميز النبي ﷺ بقدرات عالية في إدارة التخاطب، منها: الإلقاء المؤثر، والحس البلاغي القوي، والخيال المرهف، وروعة الأداء، وكان ﷺ يستخدم لكل مقام مقال، ولكل واقعة خطاب، ويستخدم الإشارة والحركة دعماً للمعنى، وكانت الحركة والإشارة من طرق الأداء التي يستخدمها ﷺ في التعبير، فقد روى مالك عن صفوان بن سليم

---

[44] البخاري، **الصحيح**، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ج11، ص 402، رقم 3374، و3375.

[45] الجهير من جهر (الصوت: ارتفع) وعلا وكذا الرجل، جهارة. (وكلام جهر)، كتف، (ومجهر)، كمكرم، (وجهوري): شديد (عال)، وكذالك الرجل يوصف به يقال: رجل جهير ومجهر، أي كمكرم، إذا عرف بشدة الصوت. وأجهر وجهور: أعلن به. ورجل جهوري الصوت: رفيعه. الجهوري: هو الصوت العالي. وفي الحديث: (فإذا امرأة جهيرة) أي عالية الصوت. انظر: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، (الرياض: دار الهداية، د. ط.، د. ت.)، ج10، ص 492.

[46] أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، (بيروت: دار الجيل، د. ط.، د. ت.)، كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ج3، ص 11، رقم 2042.

أنه بلغه أن النبي ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة كهاتين إذا اتقى وأشار بإصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام».[47]

أخرج البخاري: عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثا»، "وأشار بيديه كلتيهما". وأخرجه مسلم في الحيض، باب إستحاب إفاضة الماء على الرأس وغيره، رقم 327، "وأشار بيديه" أي أشار أنه يأخذ الماء بكفيه معاً.[48] وأخرج البخاري أيضاً: عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا يمنعن أحدكم أو أحدا منكم أذان بلال من سحوره فإنه يؤذن أو ينادي بليل ليرجع قائمكم ولينبه نائمكم وليس أن يقول الفجر أو الصبح». "وقال: بأصابعه ورفعها إلى فوق وطأطأ إلى أسفل" "حتى يقول هكذا". وقال زهير: بسبابتيه إحداهما فوق الأخرى، ثم مدها عن يمينه وشماله.[49] و أخرجه مسلم في الصيام باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل...رقم 1093. «ليرجع قائمكم» ليرد المتهجد لينام قليلا. حتى يصبح نشيطا لصلاة الفجر. «وليس أن يقول الفجر» ليس أذانه لأن الفجر قد طلع. "وقال بأصابعه" أشار بها . "طأطأ" خفض. "بسبابتيه" الأصبعين اللتين تليان الإبهامين.[50]

أخرج مسلم: عن معتمر عن إسماعيل قال: سمعت قيسا يروى عن أبى مسعود قال: أشار النبى ﷺ بيده نحو اليمن فقال: «ألا إن الإيمان ها هنا، وإن القسوة وغلظ القلوب فى الفدّادين[51] عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان فى ربيعة ومضر».[52] فهذه الأحاديث كلها تدل على حكمته ﷺ، في الكلام حيث يخاطب الناس أحيانا بالاشارة، فهذه دلالة واضحة على روعة الأداء في كلامه ﷺ.

---

[47]الأصبحي، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: دار إحياء التراث العربي، د. ط.، د. ت.)، ج2، ص 948، رقم 1700.

[48]البخاري، **الصحيح**، باب من أفاض على رأسه ثلاثا، ج1، ص 101، رقم 251.

[49]**المرجع نفسه**، كتاب الصلاة، باب الأذان قبل الفجر، ج1، ص 224، رقم 596.

[50]**المرجع نفسه**، والصفحة.

[51]الفدّادون: الفداد الذى يعلو صوته فى حرثه ومواشيه ودوابه. انظر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، د. ط.، 1399ه – 1979م)، ج3، ص 802.

[52]مسلم، **الصحيح**، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ج1، ص 51، رقم 190.

3. إستعمال العام، والخاص في حكم العام

من النصوص الشرعية قول النبي ﷺ كما في حديث جابر بن عبد الله، المتفق عليه، «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»[53] الأرض لفظ عام يشمل: الأرض الرملية، والترابية، والحجرية، والتي نزل عليها المطر، كل هذا بمقتضي الفظ الذي معنا تصلح للتيمم؛ لأن كلمة الأرض لفظ عام. ما هو حكم العام الذي نأخذه من قوله: « وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا »؟

حكم العام: أنه يتيمم بجميع أجزاء الأرض، ورد في صحيح مسلم حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وجعلت لنا تربتها مسجدا وطهورا إذا لم نجد الماء ».[54] هذا الحديث فيه فرد من أفراد العام الذي هو التراب، الحكم ما هو؟ نعم الحكم هو التيمم، إذن الآن الخاص حكمه هو حكم العام، ولا مختلف؟ نعم هو حكم العام.

إذن نأخذ قاعدة في الأصول: إذا جاء الخاص بحكم العام امتنع التخصيص، فيعمل بالعام على عمومه، ويعمل بالخاص على خصوصه؛ ومن هنا الراجح في هذه المسألة: أن أي جزء من أجزاء الأرض يصلح للتيمم. فهذه الأحاديث تدل على بلاغته وفصحاته ﷺ. والله أعلم.

4. التكرار

ومن أسلوبه أنه ﷺ كان "يكرر الحديث ثلاثاً" فهو أسلوب واضح، وبهذا التكرار المفيد، يستوعب الصحابة الحديث فيحفظونه، وتثبت ألفاظه ومعانيه في العقل، وتنغرس الأفكار وظلالها، والألفاظ وإيحاءاتها في النفوس، ويتمثلون حديث رسول الله عملاً وتطبيقاً في مجال حياتهم، ثم تصل إلينا نقية، لا شائبة فيها، حية بحيوية حامليها. من الأحاديث التي ترى فيها مصداق ما ذكرته سابقاً: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رغم أنفه، رغم أنفه، رغم

---

[53] البخاري، **الصحيح**، باب قول النبي ﷺ «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»، ج1، ص 168، رقم 427.

[54] مسلم، **الصحيح**، كتاب الساجد، باب الأول، ج2، ص 63، رقم 1193.

أنفه. قالوا: يا رسول الله من؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما فدخل النار. قال الشيخ الألباني: صحيح.[55]

5. الإيجاز

وستتناول الإيجاز في منطقه ﷺ حيث إن الإيجاز المحمود هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ.[56] قال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: وقد قيل لبعضهم ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز. قيل وما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول وتقريب البعيد.[57] قال العسكري: الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل، وهما من أعظم أدواء الكلام، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة، وفي تفضيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى لكتابه: إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا، وقال بعضهم: الزيادة في الحد نقصان، وقال: محمد الأمين عليكم بالإيجاز فإن له إفهاما وللإطالة استبهاماً وقال شبيب بن شبة القليل الكافي خير من كثير غير شاف، وقال آخر: إذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف،ولا خير في شيء يأتي به التكلف.[58]

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون».[59]

وإذا كان الإيجاز سمة بارزة من سمات حديثه ﷺ فإن هذا لا يعني أن كل ما قاله رسول الله ﷺ كان مختصراً،فهناك الخطب التي كانت في مناسبات استدعت

---

[55]البخاري، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط3، 1409هـ-1989م)، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، ج1، ص 21، رقم 21.

[56]انظر: **الحلبي**،الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سنة الولادة 423هـ 1032م/ سنة الوفاة 466هـ / 1073م، **سر الفصاحة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، 1402هـ- 1982م)، ج1، ص 211.

[57]العسكري،أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، **الصناعتين الكتابة والشعر**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، د. ط.، 1406هـ- 1986م)، ج1، ص 173.

[58]**المرجع نفسه**، والصفحة.

[59]الترمذي، **السنن**، كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الغنيمة، ج4، ص 123، رقم 1553؛ ومسلم، **الصحيح**، كتاب الساجد ومواضيع الصلاة، باب...، ج2، ص64، رقم 1195.

الإطالة حيث كان لزاما أن تعلم الرسول ﷺ جمهور الأمة كما في خطبة الوداع. قال أبو سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ خطب ، فقال: «إن الدنيا حلـــوة خضـــرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فـــإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».[60]

وقال أبو سعيد: "ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشفق الأحمر عن أطـــراف السيف، فقال إنه لم يبق في الدنيا فما معنى إلا كما يفنى من يومكم هذا فيما معنى". وليس هذا من ديدنه ﷺ إذ الصفة الغالبة من حديثه ﷺ، أما غـــيره مـــن الخطبـــاء فيطولون وقد تلتمس شيئا ﷺ في وصفه لهذا التكلف الممقوت فيما روى عنه قـــال: «إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة أســـاؤكم أخلاقـــاً، الثرثـــارون، المتشدقون، والمتفيهقون».[61] وفي حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله يكره من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة»[62]

وقد رغب في الإيجاز لقولهﷺ لجرير بن عبد الله رضي الله عنه « يا جرير إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف».[63]

وقد ذكر العرب الإيجاز لأنهم أمة أميه تستلزم الاعتماد على ذاكرة التي كانت من أهم دواعي الإيجاز. فالرسول ﷺ كان مُعلّم البشرية، فاقتضى أن يكون كلامـــه

---

[60]عن أبي سعيد الخدري رصدضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا وفتنة النساء » أخرجه البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر، (ت 458هـ) ، **الأسماء والصفات** تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، (جدة: مكتبة السوادي، د. ت.)، باب ما جاء في النظر، ج2، ص 424، رقم 999.

[61]عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون»، قال أبو عيسى: وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. الترمذي، **السنن**، باب ماجاء في معالي الأخلاق، ج7 ص309، رقم 2018.

[62]البزار،الحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، **البحر الزخار المعروف بمسند البزار**، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، د. ت.)، ج6، ص442، رقم 2144. «إن الله تبارك وتعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها» . وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم روّاه، عن النبي ﷺ إلا عبد الله بن عمرو، ولا نعلم له طريقا عن عبد الله إلا هذا الطريق.

[63]الهندي،علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى: 975هـ)، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**: المحقق: بكري حياني، وصفوة السقا (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط5، 1401 هـ/1981م)، ج2، ص 346، رقم 6864. «يا جرير إذا قلت فسدد، ولا تكلف إذا قضيت حاجتك» . "ابن عساكر عن عيسى بن يزيد"1 مرسلا.

قليل وهذا ادعى للحفظ التبليغ فكثر حفظ الصحابة لحديثه ﷺ وأخذ الصحابة يحفظون حديثه بجانب القرآن الكريم حتى تم تدوينه وكتابته في الأسفار الجليلة، والكتب العظيمة. ومن شواهد أقواله ﷺ:

نماذج من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ وبيان وجه البلاغة فيها

فهذه نماذج مختارة، من جوامع الكلم التي أوتيها رسول **الله** ﷺ اخترناها حتى نوضح كيفية البيان النبوي، وقوته، وبلاغته.

1. سحر البيان: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحرًا أو إن بعض البيان سحر».[64] روي أن السبب قدوم رجلين من جهة المشرق – بالنسبة للمدينة النبوية المنورة– وهما: الزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم فخطبا فأخذا بألباب الناس فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحرا» ... الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس إلى رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، ففخر الزبرقان فقال: «يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب لديهم ، أمنعهم من الظلم وآخذ لهم حقوقهم وهذا –أي عمرو[65] علم ذلك" فقال عمرو: "إنه شديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أنديته " فقال الزبرقان :"والله لقد علم مني أكثر مما قال وما منعه إلا الحسد" فقال عمرو :"أنا أحسدك والله إنك لئيم الخال حديث المال أحمق الولد مضيع في العشيرة والله يا رسول الله لقد صدقت في الأولى وما كذبت في الأخرى لكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعا" فقال ﷺ:«إن من البيان لسحرا».

معنى الحديث وبلاغته: يعني هذا الحديث أن من البيان ما يحل من العقول والقلوب في التمويه، محل السحر فكما أن الساحر بسحره يزين الباطل في عين المسحور حتى يراه حقاً، كما قال الله تعالى: ﴿**أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**﴾ (الأعراف: 116) وكما قال تعالى: ﴿**قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾ (طه: 66)،

---

[64] البخاري، **الصحيح**، ج18، ص 61.

[65] محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**: تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411ه – 1990م)، ج3، ص710.

فكذلك المتكلم بمهارته في البيان وتقلبه في البلاغة وترصيف النظم يسلب عقل السامع ويشغله عن التفكير فيه، حتى يخيل إليه الباطل حقا، فتستمال به القلوب كما تستمال بالسحر، فشبه بذلك تشبيها بليغا بحذف الأداة.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذا خرج مخرج الذم لأنه أطلق عليه السحر، ويدل عليه قوله ﷺ: «إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه»[66]

وذهب آخرون إلى أن المراد منه مدح البيان والحث على تحسين الكلام لأن الله تعالى امتن به على عباده فقال: ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (الرحمن: 3-4) وكان النبي أبلغ الناس وأفضلهم بيانًا وقيل: غاية ما يقال: ليس ذما للبيان كله ولا مدحا مطلقا له لأنه أتى ب"من" للتبعيض وروي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا طلب إليه حاجة كان يتعذر عليه إسعافه بها ، فاستمال قلبه بالكلام فأنجزها له ثم قال: "هذا هو السحر الحلال"[67]

2. الصبر عند الصدمة الأولى: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الصبر عند الصدمة الأولى»[68]. وفي صحيح البخاري عن ثابت البناني قال: سمعت أنس بن مالك يقول لامرأة من أهله: تعرفين فلانة؟ قالت: نعم، قال: فإن النبي ﷺ مر بها وهي تبكي عند قبر فقال:«اتقي الله واصبري»، فقالت: إليك عني فإنك خلو من مصيبتي، قال: «فجاوزها» ومضى فمر بها رجل فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ، قالت: ما عرفته قال: إنه لرسول الله ﷺ، قال: فجاءت على بابه فلم تجد عليه بوابا فقالت: يا رسول الله! والله ما عرفتك، فقال النبي ﷺ: إن الصبر عند الصدمة الأولى. فذكره.

معنى الحديث وبلاغته: الصدمة الأولى في الحديث كناية عن أول هجمة المصيبة، فعندها تهتز النفس ويكون تأثير المصيبة في ذروته ، وهذه الحال تشبه صدمة

---

[66] البخاري، **الصحيح**، ج9، ص 176، ومسلم، **الصحيح**، ج9، ص 109.

[67] الحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي(المتوفى سنة 774هـ). **البداية والنهاية**، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه، علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1408 هـ- 1988م)، ج9، ص 234.

[68] البخاري، **الصحيح**، زيارة القبور 5029، ومسلم، **الصحيح**، في الصبر على المصيبة ج4، ص 489.

الجسم الشديد في أنه يحطم ويوجع ويؤلم ، وفي "الصدمة" بمفردها استعارة تصريحية شبه فيها حلول المصيبة بصدمة مادية على جسم المصاب فأذهله لأن ما يفاجيء الإنسان وهو غافل أعظم إيجاعا لنفسه مما يطرقه وقد أخذ له أهبته وأعد له عدته. من هنا أعطي الأجر بكامله لمن صبر لتلك الصدمة و لم يجزع ويتمالكه الحزن والقلق وسلم الأمر كله لله عز وجل﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ (البقرة : 155-156).

3. ومنه قوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[69] وهذا الحديث حديث عظيم، جعله الإمام البخاري مقدمة لكتابه الصحيح ، فلنتاوله بشرح مختصر قال البخاري: حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».[70] وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة بقوله: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» رقم 1907.

«إنما الأعمال بالنيات» أي صحة ما يقع من المكلف من قول أو فعل أو كماله وترتيب الثواب عليه لا يكون إلا حسب ما ينويه. و«النيات» جمع نية وهي القصد وعزم القلب على أمر من الأمور. «هجرته» الهجرة في اللغة الخروج من أرض إلى أرض ومفارقة الوطن والأهل مشتقة من الهجر وهو ضد الوصل . وشرعا هي مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة وقصدا لإقامة شعائر الدين . والمراد بها هنا الخروج من مكة وغيرها إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم. «يصيبها» يحصلها. «ينكحها» يتزوجها. «فهجرته إلى ما هاجر إليه» أي جزاء عمله الغرض الدنيوي الذي قصده إن حصله وإلا فلا شيء له.

---

[69] البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح**، الطبعة السلفية، القاهرة (مع متن فتح الباري)، ص 1-10.

[70] البخاري، **الصحيح**، ج1، ص 3، رقم 1.

والظاهر أن الحكمة من البدء بهذا الحديث التنبيه على الإخلاص وتصحيح النية من كل طالب علم ومعلم أو متعلم وأن طالب العلم عامة والحديث خاصة بمنزلة المهاجر إلى الله تعالى ورسوله ﷺ. كما قال الإمام النووي: هو مدار الإسلام، ومن جوامع حكمه ﷺ، وليس من الأحاديث النبوية شيء أجمع وأثني وأكثر فائدة منه.[71]

4. ومن ذلك «الدين النصيحة»[72]

قال الإمام مسلم: حدثنا محمد بن عباد المكى، حدثنا سفيان، قال: قلت لسهيل: إن عمرا حدثنا عن القعقاع، عن أبيك، قال: ورجوت أن يسقط عنى رجلا، قال: فقال: سمعته من الذى سمعه منه أبى كان صديقا له بالشام ثم حدثنا سفيان عن سهيل عن عطاء بن يزيد عن تميم الدارى أن النبى ﷺ قال: « الدين النصيحة » قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».[73]

قال النووي: هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الاسلام، كما سنذكره من شرحه، وأما ما قاله جماعات من العلماء: أن أحد أرباع الاسلام أى أحد الأحاديث الأربعة التى تجمع أمور الاسلام، فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده، وهذا الحديث من أفراد مسلم، وليس لتميم الدارى فى صحيح البخارى عن النبى ﷺ شيء، ولا له فى مسلم عنه غير هذا الحديث، وقد تقدم فى آخر مقدمة الكتاب بيان الاختلاف فى نسبة تميم وأنه دارى أوديرى، وأما شرح هذا الحديث فقال الامام أبو سليمان الخطابى رحمه الله: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له، قال: ويقال: هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، وليس فى كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن المعنى هذه الكلمة كما قالوا فى الفلاح ليس فى كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه، قال: وقيل: النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده

---

[71] انظر: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ)، ج2، ص 37.

[72] انظر: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى : 275هـ)، **سنن أبي داود**، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ط.، د. ت.)، ج4، ص 441، رقم 4946.

[73] مسلم، **الصحيح**، المقدمة، باب بيان أن الدين النصيحة، ج1، ص 53، رقم 205.

من خلل الثوب، قال: وقيل: إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط، قال: ومعنى الحديث عماد الدين، وقوامه، النصحية. كقوله: «الحج عرفة» أى عماده ومعظمه عرفة.[74]

وأما تفسير النصيحة وأنواعها: فقد ذكر الخطابى وغيره من العلماء فيها كلاما نفيسا أنا أضم بعضه إلى بعض مختصرا قالوا: أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الايمان به ونفى الشريك عنه، وترك الالحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه سبحانه وتعالى من جميع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه وموالاة من أطاعه ومعادة من عصاه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمته وشكره عليها والاخلاص في جميع الامور والدعاء إلى جميع الاوصاف المذكورة والحث عليها والتلطف في جميع الناس أو من أمكن منهم عليها. قال الخطابى رحمه الله: وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه، فالله تعالى غني عن نصح الناصح، وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأن كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه والى ما ذكرناه من نصيحته، وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به وطاعته فى امره ونهيه ونصرته حيا وميتا ومعاداة عن عاداه وموالاة من والاه واعظام حقه وتوقيره واحياء طريقته وسنته وبث دعوته ونشر شريعته ونفى التهمة عنها واستثارة علومها والتفقه في معانيها والدعاء إليها والتلطف في تعلمها وتعليمها واعظامها وإجلالها والتأدب عند قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم وإجلال أهلها لانتسابها إليها والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع فى سنته أوتعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك، وأما

[74] النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج2، ص 37.

النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيهم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه و لم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم، قال الخطابي رحمه الله: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسملين من أصحاب الولايات وهذا هو المشهور.[75]

5. وحديث آخر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان والمعاصي حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه ».[76]

قال ابن حجر: قوله: «الحلال بين والحرام بين» الخ فيه تقسيم الأحكام إلى ثلاثة أشياء وهو صحيح لأن الشيء إما أن ينص على طلبه مع الوعيد على تركه أو ينص على تركه مع الوعيد على فعله أو لا ينص على واحد منهما فالأول الحلال البين والثاني الحرام البين فمعنى قوله الحلال بين أي لا يحتاج إلى بيانه ويشترك في معرفته كل أحد والثالث مشتبه لخفائه فلا يدري هل هو حلال أو حرام وما كان هذا سبيله ينبغي اجتنابه لأنه إن كان في نفس الأمر حراما فقد بريء من تبعتها وإن كان حلالا فقد أجر على تركها بهذا القصد لأن الأصل في الأشياء مختلف فيه حظرا وإباحة والأولان قد يردان جميعا فإن علم المتأخر منهما وإلا فهو من حيز القسم الثالث وسأذكر ما فسرت به الشبهة بعد هذا الباب والمراد أنها مشتبهة على بعض الناس بدليل قوله عليه السلام لا يعلمها كثير من الناس وقد تقدم الكلام على ذلك وعلى هذا الحديث مستوفى في باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه من كتاب الإيمان وقد توارد أكثر الأئمة المخرجين له على إيراده في كتاب البيوع لأن الشبهة في المعاملات

---

[75] المرجع نفسه، ج2، ص 38-39.

[76] البخاري، **الصحيح**، ج7، ص 201.

تقع فيها كثيرا وله تعلق أيضا بالنكاح وبالصيد والذبائح والأطعمة والأشربة وغير ذلك مما لا يخفى والله المستعان وفيه دليل على جواز الجرح والتعديل قاله البغوي في شرح السنة واستنبط منه بعضهم منع إطلاق الحلال والحرام على ما لا نص فيه لأنه من جملة ما لم يستبن لكن قوله صلى الله عليه و سلم لا يعلمها كثير من الناس يشعر بأن منهم من يعلمها.[77]

6. ومنه حديث «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقا».

قال أبو داود: حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ».[78]

قال محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» بضم الخاء، قال ابن رسلان: وهو عبارة عن أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره وهي منقسمة إلى محمودة ومذمومة فالمحمودة منها صفات الأنبياء والأولياء والصالحين كالصبر عند المكارة والحمل عند الجفا وحمل الأذى والإحسان للناس والتودد إليهم والرحمة بهم والشفقة عليهم واللين في القول ومجانبة المفاسد والشرور وغير ذلك. قال الحسن البصري حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه، قال المنذري: وقال: حسن صحيح وزاد في آخره وخياركم خياركم لنسائهم.[79]

7. ومنه الحديث الذى رواه عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون الرقوب فيكم؟ قال: قلنا: الذي لا يولد له، قال: لـــيس ذاك بـــالرقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئاً، قال: فما تعدون الصرعة فيكم؟ قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب».[80]

قال النووي رحمه الله:

---

[77] البخاري، **الصحيح**، ج7، ص 201؛ وانظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (بيروت: دار المعرفة، د. ط.، 1379هـ)، ج4، ص 291، رقم 1946.

[78] أبو داود، **السنن**، ج4، ص 354، رقم 4684.

[79] آبادي،محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، **عون المعبود شرح سنن أبي داوود**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ)، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ج12، ص 286-287.

[80] مسلم، **الصحيح**، ج4، ص 2014؛ والبخاري، **الصحيح**، ج 5، ص 2286.

قوله ﷺ: «ما تعدون الرقوب فيكم قال قلنا الذي لا يولد له قال ليس ذلك بالرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا قال: فما تعدون الصرعة فيكم؟ قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب». (الرَّقُوب) فبفتح الراء وتخفيف القاف والصرعة بضم الصاد وفتح الراء واصله في كلام العرب الذي يصرع الناس كثيرا واصل الرقوب في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد ومعنى الحديث انكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده وليس هو كذلك شرعا بل هو من لم يمت أحد من اولاده في حياته فيحتسبه يكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه ويكون له فرطا وسلفا وكذلك تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال بل يصرعهم وليس هو كذلك شرعا بل هو من يملك نفسه عند الغضب فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قل من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الاول وفي الحديث فضل موت الاولاد والصبر عليهم .[81]

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».[82] وهذا الحديث قاعدة مهمة في إصـــلاح الأخلاق، لأن بعثة النبي ﷺ كانت من أجل كمال الأخلاق.

«كما تكونوا يولى عليكم» قال المناوي: فإذا اتقيتم الله وخفتم عقابه ولى عليكم من يخافه فيكم وعكسه وفي بعض الكتب المنزلة أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم ومن دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا وروى الطبراني عن كعب الأحبار أنه سمع رجلا يدعو على الحجاج فقال : لا تفعل إنكم من أنفسكم أتيتم فقد روي أعمالكم عمالكم وكما تكونوا يولى عليكم.[83]

---

[81] النووي ، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شئ يذهب الغضب، ج16، ص 161-162، رقم 2608.

[82] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، **السنن الكبري وفي ذيله الجوهر النقي**، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، (الهند: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة ببلدة حيدر آباد، 1344 ه)، باب إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ،ج10، ص 191، رقم 21301.

[83] ذكره محمد عبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415ه - 1994 م) ج 5، ص 60، رقم 6406؛ وعزاه للطبراني عن كعب الأحبار، وذكره العجلوني في **كشف الخفاء**، ج1، ص 164. وعزاه أيضا للطبراني. ومحمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، **مسند الشهاب**، ج1، ص 336.

خاتمة

هذه كلمات عن بلاغة النبي ﷺ وبيانه سطرناها لكم من خلال أحاديث عديدة رويت عنه ﷺ دلت على تأييد الله تعالى لنبيه ﷺ ، وقد تناولت الورقة معاني مفردة البيان خاصة عند المناوي ، مع التعرض لبعض آيات الذكر الحكيم التي جاءت فيها هذه المفردة ، كما أشارت الى بعض الكتب التي تناولت البيان النبوي خاصة ، مع ذكر بعض أوجه أساليبه صلى الله عليه وسلم في الخطاب ، ثم ذكرت نماذجا من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، وما فيها من بلاغة وبيان ، مستفيدة من شروح العلماء وأقوالهم في ذلك. وفي خاتمة المطاف فهناك الكثير مما جاء في بلاغة النبي ﷺ يمكن إجمال ذلك فيما يلي:

1. **خصائص المعنى** ويدخل تحتها:

أ. اشتمال الحديث مهما كان قليل الكلمات والجمل على كثير من المعاني والحقائق والأسرار والأحكام.

ب. الإحكام ، بالكسر – ويعني أن المعنى صحيح في ذاته يفيد الحقيقة التي لا تتبدل بتغير الظروف والملابسات وهذا يفيد ما يمتاز به الحديث إلى جانب المعنى من ترابط وتسلسل.

ج. الغوص في أعماق النفس ومخاطبة القلب والضمير.

2. **خصائص الأسلوب**: يمتاز بعدة مميزات منها:

أ. الجزالة والفخامة في الكلمات والوضوح في الدلالة .

ب. البعد عن التكلف .

ج. تعداد الصور البيانية: أي ما في الحديث من صور بيانية عديدة تستهدف توضيح المعنى وتقريبه للسامعين في الوقت الذي تسترعي الأسماع بما فيه من جاذبية وتلوين

د. التناسق وجمال الواقع:وذلك بما فيه من توافق بين المعنى وانسجام في أصوات الحروف وهو ما يمكن التعبير عنه بموسيقى الحديث أو إيقاعه. من ذلك على مستوى الكلمة :قولهﷺ: «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[84] فكلمة يغرغر تحكي صوت من يعالج الموت في حنجرته وهذا الإيقاع من شأنه أن يساعد على تقريب المعنى وتمكينه في النفس البشرية.

ومن ذلك فيما يتعلق بالجملة كقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه البعض"[85] فما في هذه الجملة من تناسق وترابط يجعلها كالقطعة الواحدة ومن ذلك

---

[84] أحمد بن حنبل ، **المسند** ، 132/2 ، وقال: حديث حسن.

[85] البخاري، **الصحيح**، تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ج2، ص 289.

فيما يتعلق بالجمل المتعددة كقولهﷺ : «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن. »[86] إنه كلام منسق إلى فقرات متناسقة مع مافيه من موسيقى داخلية للألفاظ والجمل معا.

[86] مسلم، **الصحيح**، ج14 ص 280.